

DOI: 10.54240/2318-014-002-006

الدور الوظيفي لعلماء الدين من المغرب الأوسط بمصر وبالشام

خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (567-923هـ/1171-1517م)

The religious functional role of Middle Maghreb scholars
in Egypt and the Levant during the Ayyubid and Mamluk eras
(567-923AH/1171-1517AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: خنيفر سهام - khenifer siham صص 142-167

الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه في التاريخ الوسيط- مختبر الدراسات التاريخية والأثرية في
شمال إفريقيا- جامعة مصطفى اسطنبولي- معسكر.

البريد الإلكتروني: khenifer.siham@univ-mascara.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: كراراز فوزية - krarraz fouzia

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة التعليم العالي- جامعة مصطفى اسطنبولي- معسكر.

البريد الإلكتروني: fouzia.krarraz@univ-mascara.dz

تاريخ استقبال المقال: 2024/06/29. تاريخ المراجعة: 2024/07/10.. تاريخ القبول: 2024/10/13.

الملخص: يُسلط هذا المقال الضوء على الدور الوظيفي للعلماء المغاربة الأوسط بمصر
وبلاد الشام خلال العصرين الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م)، والمملوكي (648-923هـ/
1250-1517م)، حيث ساهمت هذه الأقليات إلى حد كبير في إثبات حضورها الفعلي داخل
مجتمعات لا تنتهي إليها، بتوليم عدة مناصب دينية كالتدريس والإمامة والخطابة وممارسة
القضاء وفق مذهبهم المالكي، وقد اعتمدت على المنهجين الإحصائي والتحليلي النقدي لجمع
المعطيات الإحصائية الخاصة بـعلماء الدين من المغرب الأوسط الذين انتقلوا إلى مصر وبلاد
الشام خلال فترة الدراسة والعمل من أجل تحليل ونقد المادة العلمية ووضع تفسيرات مناسبة
للنتائج التي تم الحصول عليها. ومن بين هذه النتائج التي توصلنا إليها أن علماء المغرب الأوسط
قد بلغوا شأنا عظيما في مجالات متنوعة من العلوم من بينها العلوم الدينية، وكان تأثيرهم
واضحا خاصة في المناصب التي شغلوها والتي مثلت تقييما للمستوى العلمي والفكري الذي

وصل إليه هؤلاء العلماء، وكان هذا التأثير واضحا على الحياة العامة بمصر وبلاد الشام خلال العهدين الأيوبي والمملوكي.

الكلمات المفتاحية: العلوم الدينية- مصر- بلاد الشام- العهد المملوكي- العهد الأيوبي- العلماء

ABSTRACT: This article sheds light on the functional religious role of the scholars of the Middle Maghreb in Egypt and the Levant during the ayyubid (567-648AH/1171-1250AD), and Mamluk (648-923AH/1250-1517AD) eras, as this minority contributed greatly to establishing its actual presence. Within communities to which you do not belong, by assuming several religious positions, such as teaching, imam, preaching, and exercising the judiciary according to their Maliki doctrine, I relied on the statistical and critical analytical approaches to collect statistical data on the art scholars from the Middle Maghreb who moved to Egypt and Levant during the period of study and work in order to analyze and criticize the scientific material and develop appropriate explanations for the results that were obtained, among these results that we reached: that the scholars of the Central Maghreb achieved great status in the religious career field, and their influence was clear, especially in the religious positions they held, which represented an assessment of the scientific and intellectual level that these scholars had reached, and this influence was evident on public life in Egypt and the Levant.

Keywords: Central Maghreb, Function, Egypt and Levant, Religious sciences.

المقدمة: أخذت العلوم الدينية مكانة مهمة ومتقدمة في الإنتاج الفكري في العصر الإسلامي الوسيط مشرقا ومغربا، وكان نصيب مصر وبلاد الشام من علماء الدين من أهل المغرب الأوسط كبير إلى حد ما، وهذا ليس بغريب نظرا لكون العالم لا يرتبط تأثيره ودوره بمجال جغرافي محدد، إلى جانب ذلك أن العلم في ذلك العصر كان علما دينيا مرتبطا بالحياة بشكل عام، فنجد أن كثير من علماء المغرب الأوسط قد أثبتوا وجودهم وقاموا بترسيخ بصمتهم داخل المحيط الوظيفي من خلال توليهم للمناصب الدينية التي أفضت بهم إلى تقديم خدمات جليلة للمجتمع المصري والشامي خلال الفترة التاريخية من حكم الدولة الأيوبية والمملوكية (567-923هـ/1171-1517م)، فبرع كل منهم في أكثر من مجال كأئمة وخطباء وقضاة ومدرسين وغيرها من الوظائف الدينية الجليلة.

كما أن الإمعان في مسألة تعدد مجالات الحضور الديني لعلماء المغرب الأوسط بمصر وبلاد الشام، يكشف ويوضح مدى تأثير هؤلاء العلماء على المجتمعات المصرية والشامية

تأثيرات ما بين ايجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى، وذلك توقف على فاعلية أهم مخرجاتها من خلال الأعمال التي أوكلت إليهم.

هذا وسوف يعالج هذا الطرح جوانب مهمة من إسهامات علماء المغرب الأوسط في الميدان الديني في كل من مصر وبلاد الشام، فوجب دراسة الموضوع برؤية ناقدة للمعطيات التاريخية لتتضح لنا النتائج بصورة منصفة؛ وضبط بعض المحددات التي من شأنها أن تساهم في معالجة إشكالية هذه الدراسة التي تمحورت حول حقيقة الحياة المهنية لعلماء المغرب الأوسط خاصة في الميدان الديني وما مدى فاعلية هذه الفئة العلمية في إثراء الحياة الفكرية بمصر وبلاد الشام خلال عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية؟ وما هي آثارها الجانبية؟

وبصيغة أخرى هل استطاعت هذه الفئة أن تثبت حضورها الفعلي في مضمار الوظيفة الدينية أم بقيت في موقع وسط أو عادي؟

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع، وللإجابة عن الإشكالية ارتأينا أن نتطرق إلى المحاور الآتية، المحور الأول جاء بعنوان: مسألة تصنيف علماء المغرب الأوسط حسب الكفاءة العلمية والوظائف الدينية بمصر وبلاد الشام، في حين جاء المحور الثاني موسوماً ب: وظائف علماء المغرب الأوسط المنقطعين بصفة كلية إلى العلوم الدينية التعليمية، أما العنوان الثالث: العلماء الموظفين بالمساجد، وفي الأخير أنهيت بحثي بعنوان رابع: الوظائف الدينية التي تخص ميدان السلطة السياسية، ثم خاتمة ضمنيتها أهم النتائج المتوصل إليها والتوصيات التي ارتأيت ضرورة إيرادها في هذا المقال.

ونأتي الآن إلى بيان تفصيل ما ذكرناه في خطة المقال المذكورة آنفاً، وذلك كالتالي:

1. مسألة تصنيف علماء المغرب الأوسط حسب الكفاءة العلمية والوظائف الدينية بمصر وبلاد الشام: لا مَنَاصَ من القول أن المكانة العلمية والاجتماعية التي اختص بها علماء المغرب الأوسط سواء لدى العامة أو السلطة كان لها دور كبير في تصنيف هؤلاء العلماء بحسب المواقع التي شغلوها في مصر وبلاد الشام، إلى جانب التفاوت في درجة الثقافة والعلم ومعتقداتهم الفكرية.

وعلى هذا الأساس فلا بد من تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف، والتي كثيرا ما تأثرت بالكفاءة العلمية والثقافية بشكل خاص؛ فتمثل رجال الصِّنف الأول بأولئك العلماء المنقطعين بصفة كلية إلى العلوم الدينية دراسة وممارسة، فمنهم المحدِّث والمُقرئ والمُفتي والوَاعِظ والمُربط في أمكنة متعددة كالمساجد والزَّوايا والخانقاهات.

والصِّنف الثاني تمثَّل في العلماء المُوظَّفين بالمساجد والقائمين عليها كالإمامة والخطابة ونظر الأوقاف وغيرها. أما الصِّنف الثالث من رجال الدِّين، فكانت الوظائف التي تقلَّدوها تختصُّ بالسلطة السياسيَّة كالقُضاة.

2. وظائف علماء المغرب الأوسط المنقطعين بصفة كلية إلى العلوم الدينية التعليميَّة: ينقسم هؤلاء العلماء بدورهم إلى: علماء تولَّوا المناصب الدِّينيَّة العاليَّة ويتم تعيينهم من قبل السُّلطان خاصَّة في النيابات الكبرى لبلاد الشَّام مثل مدينة دمشق، كمشيخة الخَوَانِق والمدارس، مَشِيخَة الشُّيوخ، والمُدْرَس في المساجد والمدارس الكبرى. والقسم الثاني من العلماء الذين تولَّوا المناصب الدِّينيَّة الصَّغيرة والتي كان يُولَّى عادة فيها نواب السُّلطان، كتدريس الصِّغار، والخطب في المساجد الصَّغيرة، والمؤدِّب¹.

المشيخة²: تعتبر هذه الوظيفة من أعلى المراتب الدِّينيَّة التي كان يتولَّها أكابر العلماء والشَّخصيات البارزة، ويمكن أن يكون صاحبها إما مسؤولا عاما عن المدرسة التي يُعَيَّن فيها أو أن يتولَّى مشيخة أحد العلوم التي تُدرَّس فيها كمشيخة الحَدِيث أو الفِقه أو الإقراء إلى غير ذلك³. فنذكر ممن كان له التَّصيب من علماء المغرب الأوسط في تولِّي رئاسة بعض الخانقاهات

1- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407 هـ/ 1987 م، ج 12، ص 4. الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (دت)، ص 281-282.

2 - قام صلاح الدين الأيوبي باستحداث وظيفة "شيخ الشيوخ"، وجعل دار "سعيد السعداء" مقراً للمشيخة الصوفية العامة، بحيث تكون أشبه بجامعة داخلية متكاملة للمشايخ وأتباعهم. للمزيد من المعلومات يراجع: تقي الدين المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ط 1، ج 4، ص 282. يراجع أيضا في معنى الخانقاه: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشُّعراني، أبو محمد، الطبقات الكبرى، مكتبة محمد المليحي الكتبي وأخيه، مصر، 1315 هـ، ج 2، ص 28. الجواليقي، المغرب من الكلام الأعجبي على حروف المعجم، تح: ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، 1990 م، ط 1، ص 273.

3 - علي أحمد، الأندلسيين والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989 م، ط 1، ص 208.

بمصر وبلاد الشام الشيخ الزواوي المالكي، عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس (ت 681هـ/1282م)، الذي عاصر الفترة المتأخرة من حكم الدولة الأيوبية بحكم أنه وصل إلى دمشق سنة 617هـ/1220م، ثم الدولة المملوكية نظرا لتاريخ وفاته، حيث برع في علوم القرآن فدرس بمدرسة تربة أم صالح¹ لمدة اثنتين وعشرين سنة، واشتهر بسعة علمه ومعرفته الواسعة التي أهلته لتسلم مشيخة الإقراء الكبرى بالشام² وتولية رئاستها، وتظهر مكانته أيضا في ميدان التأليف فقد ألّف كتابا في "عدد الآي"، وكتاب "التنبهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات"³.

كما أسهم خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي بنسبة كبيرة في هذا الميدان الشيخ المدرّس شرف الدين الزواوي (ت 743هـ/1342م)، فقد شغل دورا مهما في دفع حركة العلم بالأقطار المشرقية خلال العصر المملوكي بتصدّره لعدّة مناصب تدريسية عالية مثل مشيخة الزاوية المالكية⁴، والتدريس بالمنكوتمية⁵ بالقاهرة كما أعاد بالناصرية⁶ والصالحية،

1 - المدرسة الصالحية بتربة أم صالح الملك، أبو الجيش إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر وهو واقف تربة أم صالح، موضعها غربي الطيبة والجوهرية الحنفية وقبلي الشامية الجوانية بشرق. عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م، ط1، ج1، ص239.

2 - الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ج3، ص348. ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1418هـ-1997م، 1424هـ/2003م، ط1، ج17، ص587. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، ط1، ج1، ص386. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/1986م، ط1، ج7، ص652-653. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصوير: مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، ج2، ص470.

3 - ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص386-387.

4 - واقف هذه الزاوية السلطان الملك الناصر صلاح الدين، محاذاة المقصورة الحنفية من غربي الجامع بدمشق. النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص03.

5 - نسبة إلى الأمير سيف الدين منكوتر الحسامي نائب السلطنة بالديار المصرية، تقع بحارة بهاء الدين بالقاهرة. المقرئ، المواعظ، المصدر السابق، ج4، ص238.

6 - تقع بجوار الجامع العتيق بمصر. المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص200.

فاستفاد منه كثير من طلبة العلم، وبعد أن تقدم في السن عمل كمعيد¹ عند ولده عليّ الذي تنازل له عن التدريس بالزاوية².

وتواصل جهود أسرة شرف الدين الزواوي بتوليّ ابنه عليّ بن شرف الدين الزواوي (ت769هـ/1370م)، مشيخة الزاوية المالكية، بالإضافة إلى مهمة التدريس بها فانتفع به خلق كثير، وأورد ابن حجر في درره أنّه التقى بكبار العلماء والفقهاء بمدينة دمشق كالإمام المزيّني (ت264هـ/878م)، العلامة البرزاليّ (ت739هـ/1339م)، الحافظ الذهبيّ (ت748هـ/1342م)، كما سمع بمدينة القدس من ابن الشحنة الحجار (ت730هـ/1330م)، وزينب بنت كمال المقدسيّة (ت740هـ/1339م)³. وبظاهر مدينة القاهرة تولى الشيخ شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن يحيى بن أبي بكر⁴، المعروف بابن أبي حجلة⁵ (ت776هـ/1375م)، مشيخة الصوفيّة في صهريج منجك⁶ سنة 753هـ/1352م⁷.

1 - المعيد: يأتي في المرتبة الثانية بعد المدرس، فيعيد للطلبة ما قدمه المدرس إليهم من دروس ليفهموه، ويشترط أن يكون من

الصلحاء. القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص436.

2 برهان الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تج: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د ت)، ج2، ص72-73.

3 - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تج: السيد خورشيد علي، عني بتنقيحه: محمد حبيب الله القادري الرشيد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، 1396هـ-1976م، ط2، ج4، ص111.

4 - ولد في زاوية جده بتلمسان سنة 725هـ/1325م، وبها تعلم ثم ذهب مع عائلته لأداء الحج، وبعدها سكن دمشق وأخذ عن شيوخها، ثم رحل إلى القاهرة وكانت آنذاك حاضرة دولة المماليك البحرية ومركز العلم والعلماء، فسكنها لمدة تزيد عن عشرين سنة ينظم ويؤلف حتى توفي سنة 776هـ/1375م بمرض الطاعون. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج1، ص390.

5 - تذكر الرواية أن حجلة قد باضت على كم جده الأعلى عبد الواحد فسي بابن أبي حجلة. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيب فونتانه الشرقية، الجزائر، 1906م، ج2، ص42.

6 - نسبة إلى الأمير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي الناصري التركي (ت776هـ/1374م)، أصله من ممالك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (ت471هـ/1340م)، كانت زيارته لمصر سنة 751هـ حيث بنى صهريجا فصار يعرف باسمه "صهريج منجك" وجعله مقرا للصوفية وقرر لهم في كل يوم طعاما ولحما وخبزا وفي كل شهر معلوما وجعل فيه منبرا. النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص461.

7 - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج1، ص369.

التدريس بالمدارس والجوامع الكبرى: ولعلَّ أبرز هؤلاء العلماء المُحدِّثين، أبو الحسن علي بن خَلَف بن مَعزُور الكُومِيّ (ت 599هـ/1201م)، مُدَرِّسًا الأصلين والحديث بالإسكندرية¹. واستقر أيضًا بالإسكندرية العالم محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي التلمساني (ت 665هـ/1266م) وفيها اشتهر بالتدريس². ويعد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيّد النَّاس الزواوي المالكي (ت 681هـ/1282م)، من الذين برعوا في علوم القرآن والفقه، وهذا جعله يتصدر للتدريس بترية أم صالح³.

والإمام والفقهاء الحنفي محمد ابن إبراهيم بن يحيى بن منصور بن عيسى، أبو عبد الله (ت 683هـ/1284م)، البجائي، الزواوي المؤلِّد، الحَلَبِي المنشأ، المصري الموطن، الذي أشادت كُتُب التَّراجم بدوره الوظيفي في الدِّيار المصريَّة خاصة في فترة حكم الدولة المملوكية. وهذا ما أكَّده المُقريزي في كتابه "المواعظ" حول تقلّده لوظيفة التدريس بمدارس مصر كالمدرسة الأُرَبِكِيَّة بالقاهرة⁴.

ونجد عالما آخر ابرز في هذا المجال الوظيفي الشَّيخ حسن بن عبد الله المليكشي البجائي (ت 778هـ/1376م)، الذي حدَّث بالمدرسة النَّاصرية بالقاهرة وغيرها وسمع منه جماعة⁵. ولم يكن جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الشَّيخ سليمان بن يوسف الزواوي (717هـ/1317م)، أقل شأنًا في مجال التدريس، حيث يعتبر من الذين مارسوا هذه الوظيفة بإقليم مصر، فاشتغل مُدَرِّسًا للحديث بالمدرسة الصَّمَصَامِيَّة⁶ بعد أن عمرها وجدد عمارة التَّوْرية⁷ وحَدَّث

1 - تقي الدين محمد المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد السيد، القاهرة، 1381هـ/1962م، ج 6، ص 157. راجع

أيضًا: الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 15/14 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، القسم الثاني، جامعة الجزائر، 1429هـ، 1430هـ/2009، 2008م، ص 297.

2 - الطاهر بونابي، المرجع نفسه، ص 298.

3 - الذهبي، العبر، المصدر السابق، ج 3، ص 348.

4 - المقريزي، المواعظ، المصدر السابق، ص 67.

5 - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1389هـ، 1969م، ج 1، ص 138.

6 - تقع بموضع حجر الذهب شرقي دار القرآن الوجيهة وقبلتي المسرورية الشافعية وشام الخاتونية العصبية الحنفية بدمشق.

النعيبي، المصدر السابق، ج 2، ص 6.

7 - أنشأها الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي بن اقسنقر. للمزيد راجع: النعيبي، المصدر نفسه، ج 1، ص 466.

بصحيح مسلم، وغيره من الأجزاء الحديثية¹، وموطأ مالك رضي الله تعالى عنه رواية يحيى بن يحيى عن مالك وكتاب الشفاء القاضي عياض رحمه الله تعالى، وقد كانت له منزلة عالية بين علماء عصره بحيث تميز عنهم بطريقته الحسنة وأساليبه المبتكرة في التدريس وتلقين هذا العلم.

ولعلَّ أوضح رواية عكست المستوى الذي وصل إليه هذا المُحدِّث، تلك التي ذكرها صاحب كتاب النُجوم الزاهرة: "كان فقيها عالما عالي الهمة، محدِّثا بارعا، مشكور السيرة في أحكام²"، ويؤيِّده في ذلك السَّخاوي بقوله: "كان قويَّ الذكاء سريع الحركة طارح التكلُّف"³. توفي بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع في جمادى الأولى أو الآخرة وصليَّ عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصَّغير تجاه مسجد النَّارنج، وحضر جنازته خلق كثير وأثنوا عليه خيرا وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى ولم يبلغ إلا سبع عشرة من عمره على مقتضى مذهبه أيضا⁴. غير أن الذي يؤخذ عليه عدم اهتمامه بالتأليف في علم الحديث رغم سعة إطلاعه ومعرفته الكبيرة، وهذا يجعله لا يختلف عن غيره من المُحدِّثين الذين لم يهتموا بالتأليف.

وقد نال الشَّيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق⁵ العَجَّيسي⁶ التَّلَّمساني المغربي المالكي (ت 781هـ/1379م)، ثقة السلاطين وتقدير العلماء، وعلى رأسهم السُّلطان المملوكي الأشرف شُعبان بن حسين (764-778هـ/1363-1376م) الذي ولَّاه الوظائف العلمية بمصر سنة 773هـ/1371م، ويظهر أن نبوغه وبراعته في علوم عديدة كالعربيَّة والأدب

1 - ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج 18، ص 171.

2 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د. ت، ج 9، ص 239.

3 - شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ج 3، ص 260.

4 - النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 11.

5 - ولد بتلمسان وتعلم بها، ثم تنقل بين الدول العربية وزار مصر أكثر من مرة وأخذ عن شيوخها، فأصبح عالما في الأدب والعربية والأصول، بلغ عدد شيوخه ألف شيخ، من مؤلفاته "شرح الشفاء" في السيرة النبوية، و"شرح العمدة" في الفقه في خمس مجلدات. ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 3، ص 219. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د. ت)، ج 1، ص 46. انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 1، ص 206. التنبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، طرابلس، 2000م، ط 2، ص 450-455.

6 - هي قبيلة من البربر بالمغرب. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، المصدر السابق، ج 8، ص 467.

والأصول أهلته لهذه المكانة العلمية ولهذا المنصب المتميز، حيث ذكر السيوطي بأنه درس في عدة مدراس كالمدرسة الصرغتمشية¹، التّجمية²، ودرس الفقه المالكي بالخانقاه الشّيعونية³، دون أن يذكر تاريخ توليته لهذه الوظيفة، بمعنى هل تولى التدريس بهذه المدارس في آن واحد أم تباعا، لكن ما يهم في هذا الصّدّد أنه تولّاها في عصر دولة المماليك البحريّة (648هـ-792هـ/ 1250-1390م) القويّة واستطاع التأثير في الطّلبة المصريّين الذين حضروا حلقاته العلميّة التي كانت تعقد في هذه المدارس.

وتقلّد محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي بدر الدّين (ت775هـ/1376م)، وظيفة تدريس الحديث بالجامع الأزهر بالقاهرة، بعد أن سمع من ابن الشّحنة (ت762هـ/1364) وسبّت الوزراء⁴ (ت716هـ/1318م) صحيح البخاري وانتفع منه عدد كبير من طّلبة القاهرة⁵.

كما يعد شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي البجائي (ت820هـ/1417م)، من أكابر علماء المالكيّة وقته، رحل إلى المشرق وأقام مدة في القاهرة، ثمّ دخل دمشق سنة 814هـ/1411م، وشغل دورًا مهمًا في التدريس بالمدرسة الزنجليّة⁶، وأخذ عنه الكثير، وقال عنه ابن قاضي شُهبة "لم يترك بمصر والشام في المالكية مثله"⁷.

واشتهر بمصر المحدث أحمد بن صالح خلاصة شهاب الدين الزواوي (ت855هـ/1457م)، فإلى جانب تّصلعه في علم الحديث، كانت له مشاركة واسعة في الدراسات الفقهيّة فجلس للتدريس

1 - بناها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة 756هـ وانتهى منها سنة 757هـ، مكانها خارج القاهرة بجانب جامع الأمير أبي

العباس أحمد بن طولون. المقرئ، المواعظ، المصدر السابق، ج 4، ص 264.

2 - ابن حجر، إنباء الغمر، المصدر السابق، ج 1، ص 207. أما عن المدرسة النجمية فقد بناها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي سنة 664هـ، تقع خارج دمشق محاذة لبلستان الفلك المشيري. النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 106.

3 - السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج 1، ص 48.

4 - ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية الدمشقية، من أشهر المحدثات سمعت من أبي عبد الله عن الزبيدي مسند الشافعي وصحيح البخاري وحدثت بدمشق ومصر، وهي آخر من حدث بالمسند، توفيت سنة 716هـ/ 1318 م، ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 2، ص 78.

5 - ابن حجر، إنباء الغمر، المصدر السابق، ج 4، ص 37. القاضي شُهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد، تاريخ ابن القاضي شُهبة، تج: عدنان دروس، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1994 م، مج 3، ج 2، ص 112. محمد ابن أحمد كنعان، وفيات الأعيان والمشاهير (خلاصة تاريخ ابن كثير)، مؤسسة المعارف، بيروت، 1998م، ط 1، ص 457.

6 - بناها الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي نائب عدن وهي تقع بالجانب الغربي من المسجد الحرام. للمزيد تراجع: تقي الدين الفاسي، العقد الثمين، المصدر السابق، ج 1، ص 117.

7 - التنبكي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 113.

بالجامع الأزهر، تخرج عليه كثيرون من أبناء وزوار مصر، كما أجاز لعدد منهم كالإمام السخاوي¹.

وتوازي معه في الفضل الشيخ الفقيه محمد بن أبي بكر بن محمد بن حريز الحسيني المنقُلوطي، أبو عبد الله المغربي التلمساني² الأصل المالكي (ت 873 هـ/ 1468 م)، الذي استقر أيضا بمصر يُدرّس علم الحديث³. وتصدى لوظيفة تدريس علم الحديث فترة غير قليلة من النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، الشيخ يحيى بن أحمد بن عبد السلام، المعروف بالعلمي القسنطيني⁴ (ت 888 هـ/ 1483 م)، فكان يقوم بتدريس الفقه وأصوله بعدة أماكن، منها الجامع الأزهر⁵، والمدرسة المنصورية⁶ واستفاد منه جمّع كثير من طلاب العلم المشاركة⁷.

ولعلّ العديد من كتب التراجم والوفيات أشادت بإسهامات العلامة أبو الفضل المشدالي (ت 864 هـ/ 1459 م)، حيث شارك بدوره الوظيفي في مختلف الحواضر المشرقية⁸، فأقام بمدينة القدس مدّة يقرأ النَّاس الفقه والحديث والعربية، ثم استوطن مصر وجلس للتدريس بالجامع

- 1 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، (دت)، ص 170.
- 2 - وعن نسبه فهو ابن القاضي مجد الدين أبو بكر بن محمد بن حريز ابن الإمام المحدث شمس الدين محمد ابن الشريف أبي القاسم الحسيني الطهطائي التلمساني، أصله من تلمسان، وهم أكبر بيت بالصعيد، يقال لهم المحارزة والحريزون كان مولده سنة 804 هـ بمنفلوط، انتقل مع أبيه إلى القاهرة، وتفقّه على يد مجموعة من العلماء، تولى قضاء المالكية، وتوفي سنة 873 هـ بمنزله بمصر ودفن بترية جده من قبل أمه هو الشيخ محمد الهلالي العريان. انظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تج: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأبناء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1385، 1466 هـ/ 1965، 2001 م، ج 8، ص 47. السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج 6، ص 76. يراجع أيضا: رفاعه الطهطاوي، منهاج الألباب المصرية في مباحث الآداب العصرية، مؤسسة هندداوي سي اي سي، 2018 م، ص 220، 221، 223.
- 3 - السخاوي، المصدر نفسه، ج 6، ص 76.
- 4 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 239.
- 5 - السخاوي، المصدر نفسه، ج 10، ص 216.
- 6 - أسسها الملك منصور قلاون الألفي الصالحي، موقعها من داخل باب المارستان الكبير المنصوري بالقاهرة. المقرئ، المواعظ، المصدر السابق، ج 4، ص 226.
- 7 - التنكي، نيل الإتيهاج، المصدر السابق، ص 636.
- 8 - أحصى الإمام الشوكاني إتقانه لاثنتان وعشرون علما: الفقه، الحديث، القراءات، التفسير، الأصول، النحو، العربية، العروض والصرف، المنطق، المواقيت، الحساب، الفرائض، المقابلة، والهيئة والمرايا، والمناظرة والطب. محمد الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1414 هـ، ط 1، ج 1، ص 11.

الأزهر، فجاء في كتاب "الضوء اللامع" ما يؤيد هذا من خلال ما أشار إليه الشهاب الأبدى توفي سنة 860هـ، في الرسالة التي بعث بها إلى والده جاء فيها: "إن الله خول سيّدنا وملأذ أنفسنا أبا الفضل ولدكم الأسعد من الفتوح الإلهية والمن الربانية مما امتحنه صالح دعائكم وحسن طوبيتكم واعتقادكم أن جعله الله بحر العلوم زاخرة، وعنصر لفضائل فاخرة، ومحاسن متوالية... أبكت ذوي العقول، وحجّ أصحاب المعقول والمنقول، فدانت له المملكة المصرية والأقطار الشّامية، والبلاد القاصية والدانية"، واستنادا إلى هذه الشّهادة فإنّه يمكن أن يُقال عنه أنه قد تفوق على جميع المعلّمين في عصره ليس في بلاد الشّام ومصر فحسب بل في معظم الأقطار المشرقية، وتظهر أهميته من الدور الكبير الذي شغّله والمستوى الرفيع الذي وصل إليه كمُدَرِّس وكصاحب أسلوب وطريقة في التدريس لم تكن معروفة في وقته، فقد كان يصعب على الطّلبة الضعاف فهمه، حتى قالوا له يوما: "تَنَزَّلَ لنا في العبارة فإننا لا نفهم جميع ما تقول، فردّ عليهم: "لا تنزلوني إليكم بل دعوني أرقّيكُم إليَّ"¹.

وقد أبدى الإمام السّخاوي إعجابه الشّديد به فقال عنه: "سماع درس واحد من تقريره أكثر نفعًا من سماع مائة من غيره وهو آية أبرزه الله في هذا العصر للعباد لا يشبه كلامه في جزالته إلا كلام العرب العرباء"². وقال أيضا: "هذا الرجل لا ينتفع بكلامه ولا ينبغي أن يحضر درسه إلا حذاق العلماء"³، وعلى صعيد هذا سياق يتبين لنا أنه وصل إلى درجة بالغة من الاجتهاد في علومه، بحيث لم يكن الطّلبة المبتدئين وحدهم ممن صعب عليهم فهمه، بل حتى ممن كان يعد في مراتب العلماء.

ويكون برهان الدّين البقاعي (ت885هـ/1483م) ثاني عالم مشرقى، يؤكّد على مكانة الشّيخ أبي الفضل المشدالي العلميّة واجتهاده في طريقته التّدرسيّة المبتكرة بقوله: "كنت ممن أرشده إلى ما وضعت في التفسير من المناسبات بين الآيات والسور حيث أشار علي بضرورة أن أنظر الغرض الذي سيقت إليه السّور وما يحتاج إلى الغرض من المقدمات ومراتبها في القرب والبعد من المطلوب"⁴، وهذا دليل على أن البقاعي رغم تضلعه في علوم التّفسير إلا أنه

1 - السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج9، ص185.

2 - السخاوي، المصدر نفسه، ج9، ص183.

3 - السخاوي، المصدر نفسه، ج9، ص184.

4 - السخاوي، المصدر نفسه، ج9، ص185.

كان يأخذ عنه بعض القواعد في "نظم الدرر في تناسق الآيات والسور" عند تفسيره لسورة الفاتحة، إلى جانب تخرج العديد من المشاركة على يده، أمثال عالم الحجاز البرهان ابن ظهيرة (ت 891هـ/1487م)، ابن قاضي عجلون الدمشقي (ت 968هـ/1566م)، الكمال بن أبي شريف المقديسي (ت 906هـ/1501م)، والشريف البيجوري المصري (ت 825هـ/1422م).

3. العلماء الموظفين بالمساجد: لقد ارتأينا أن نطلق هذه التسمية على هذه الفئة من علماء المغرب الأوسط الذين عملوا بالمساجد كأئمة ومؤذنين وخطباء، لأنهم لم يكونوا بمستوى فئة محدّتين الذين شغلوا منصب المشيخة أو التدريس بإحدى المدارس من ناحية المعرفة والديارية.

وظيفة صاحب الصلّة:

الإمامة والخطابة: إن الإمامة في الصلّة وظيفة شرعية شريفة، ومن الخطط الدينية التي لها شأن عظيم ومنزلة رفيعة¹، فهي رئاسة تامة، إذ تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا². وقد كان نصيب علماء المغرب الأوسط من هذه الخطة كبيراً إلى حد ما، وأشار الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي (ت 558هـ/1163م) أن أبا الحسن الخطاب بن أحمد بن عدي بن خطاب بن خليفة بن عبد الله بن الوليد بن أبي الوليد التلمساني (ت بعد 560هـ/ بعد 1126م)، كان إماماً فاضلاً وورد بغداد³.

ومن علماء المغرب الأوسط الذي استقروا في المناطق أو المدن الصغيرة في مصر وبلاد الشام، وكان لهم السبق في تولّي منصب إمامة الصلّة بالجامع الرئيسي، البونّي إبراهيم بن يوسف (ت 612هـ/1215م)⁴ الذي تولّى إمامة محراب الحنفية بدمشق⁵.

1 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2016م، ط1، ص227

2 - عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، تج: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، 1401هـ، ط2، ص22.

3 - عماد الدين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تج: اذرتاش اذرنوش، نقحه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الدار التونسية، 1971م، ج2، ص341

4 - ابن القاضي المكتاسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص116.

5 - ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه، تج: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ج1، ص182.

وذكر في كتاب "الأعلام" أن شرف الدين عبد الله بن محمد بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني (ت 644هـ/1246م) كان أيضا إماما عالما بالفقه والأصولين، تصدر للإقراء بمدينة مصر¹. كما كان الحسن بن عبد الله بن ويحيان، الشيخ أبو علي الراشدي التلمساني (ت 685هـ/1287م) نزيل مصر إمام مُحَقِّق عارف².

على الرغم من وجود بعض الاستثناءات التي ذكرناها حول تولي وظيفة إمامة الصلوة من أهل المغرب الأوسط، إلا أن كتب التراجم المتوفرة لا تَسَعِفُ لمعرفة حركة هؤلاء بانتظام، خاصة إذا علمنا أن الرؤية المالكية بالجامع الأموي بدمشق كانت إمامتها مقتصرة على المغاربة. ويظهر الدور الفعلي لهذه الفئة من خلال ممارستهم لوظيفة صاحب الصلوة ليس في المساجد أو المؤسسات الدينية فقط، فقد جمعوا إلى البراعة في الخطابة، بين مناصب القضاة والمفتين وغيرهم³. وهذا إنما يدلُّ على سعة الإطلاع والالتزام الديني⁴ وطلاقة اللسان التي كان يحظى بها هؤلاء العلماء، وعلى الرغم مما امتازت به الخطابة من مكانة في مختلف مناحي الحياة، إذ كانت من الوظائف الرفيعة في الدولة التي لا ينالها إلا من وُصف بالفصاحة والبلاغة وغزارة العلم وقوة الدين، إلا أن البعض منهم، لم يكن يرغب في مثل هذا العمل، ويمكن أن نُرجِّح سبب إجبارهم على الاشتغال في هذا الميدان إلى أمرين أو احتمالين أولهما راجع لظروف صعبة تتعلق بتأمين وسائل العيش كما قال الطبري: "إذا قلَّ مال الإنسان وناله الفقر والعدم، فهو جزوع من ذلك، لا صبر له عليه"⁵، وثانيهما أن طموح هؤلاء أو رغبتهم كانت العمل في ميدان آخر غير الخطابة، فلا يمكن استبعاد أي من الاحتمالين فكلاهما أقرب إلى منطق الصواب، وإذا أردنا أن نفرد مثال فسيكون العالم الوهراني محمد ابن مَحْرُز بن محمد ركن الدين أبو عبد الله (ت 575هـ/1179م)، أبرز الذين اشتغلوا بالخطابة بدمشق بغير رغبتهم، غير أن طموحه الكبير كان الاشتغال في ميدان الكتابة والإنشاء التي تعتبر محور اختصاصه في بلاده⁶، لكن

1 - خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، 2002م، ط 15، ج 4، ص 125.

2 - ابن الجزري، المصدر السابق، ج 1، ص 218.

3 - عمر عبد الرحمن الساريسي، نصوص من الأدب الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، دار المنار، 1985م، ص 118.

4 - محمد أبو زهرة، الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهي عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، 1353هـ/1934م، ط 1، ص 55-59.

5 - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ص 29-79.

6 - ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تج: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م، ط 1، ج 7، ص 456.

رغبته في ذلك لم تتحقق وعكف يعمل خطيبا في بلدة داريا حتى وفاته، إلا أن هذا لم يمنعه من التأليف وكتابة المَنَامَات والرَّسَائِل، فاشتهر بمنامه الكبير الذي عمل عليه بقرية داريا، وقال فيه ابن خُلِكَان: "لو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه"، بلغ فيه الإجازة والغاية، وفاق أبا العَلَاء المَعْرِي (ت 449هـ/1057م) في رسالة الغفران¹.

وذكر ابن الجزري أيضا أن عبد السَّلام بن علي بن عمر بن سيِّد النَّاس أبو محمد المالكيّ الزواويّ (ت 681هـ/1282م) كان "إمام بارع صالح مُحَقِّق فقيه ثقة"².

وعن الشَّيخ الشريف موسى بن عبد العزيز الزواويّ المالكيّ (ت 736هـ/1335م)، كان له مسجدا يُؤمُّ به بدمشق³.

وكانت أهُمَّ المساجد التي عمل فيها علماء المغرب الأوسط في وقت مبكر الجامع الأمويّ وجامع داريا بدمشق الذي نزل به عليّ بن عبد الله بن ناشر المُبارك أبو بكر ويقال أبو الحَسَن الوهرائي (ت 615هـ/1219م)، وقد سمع منه العديد من العلماء والثُّقات الذين كان لهم شأن كبير في الجانب الديني مثل أبو الحجاج يوسف بن خليل (ت 648هـ/1250م)⁴.

ولم يقتصر وجود بعض علماء المغرب الأوسط العاملين في هذا المضمار في الجامع أو الزاوية بصفة إمام أو خطيب فقط، إنما كذلك بصفة مُؤدِّن، غير أن كتب التَّراجم لا تَدخُر بذكر نماذج عن هؤلاء.

4. الوظائف الدِّينية التي تخصُّ ميدان السُّلطة السياسيّة:

القضاء: لقد أفادتنا كتب الطبقات والتَّراجم بعدد من أسماء أهل المغرب الأوسط التي دخلت هذا الجِيز، فكان أول قاضي مالكي في بلاد الشَّام البجائي زين الدِّين محمد عبد السَّلام بن عمر سيِّد النَّاس الزواوي (ت 681هـ/1283م)، وليّ منصب قاضي قضاة بدمشق⁵ لمدة تسعة أعوام مجبرا على ذلك منذ سنة 644هـ/1266م، إلى أن عزل نفسه يوم أن مات رفيقه القاضي شَّمس

1 - ابن خُلِكَان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971م، ط1، ج4، ص385.

2 - ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص386.

3 - فوزي رمضان، الإشعاع الفكري والتربوي لعلماء المغرب الأوسط في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، "مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية"، مج6، 2022م، ص218.

4 - عادل نويمض، المرجع السابق، ص349.

5 - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص164.

الدّين بن عطاء، وبقي بلا ولاية لمدة ثمانية أعوام قضّاها في التّدريس والإقراء إلى أن توفّي¹ ودفن بمقابر الباب الصّغير، وكانت له سيرة حميدة ومكانة كبيرة لدى العامّة والخاصّة، ولا أدل على مكانته المرموقة مشاركة نائب الشّام في تشييعه بنفسه وجنازته كانت حافلة.²

والأمر الفريد والمميّز في هذه الشخصيّة هو أنه كان يرفض أي راتب لقاء عمله كقاضي المالكيّة³، وهذا ما يجعله عكس ابن عمه جمال الدّين أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن عمر الزواوي (ت 683 هـ/ 1283 م)، الذي بذل جهداً كبيراً للفوز بمنصب قاضي قضاة المالكي بمدينة دمشق والاستقلال بالحكم، وقد وُصف بأنه "كان عالماً فاضلاً قليل التكلّف..."⁴، توفّي وهو في طريق الحجّ فبقي القضاء شاغراً لمدة ثلاث سنوات⁵.

وتوالى الشّخصيات من آل الزواوي التي شاركت بمنصب القضاء سواء بمصر أو بلاد الشام، فالقاضي المالكي جمال الدين بن سومر الزواوي (ت 717 هـ/ 1317 م)، تولى قضاء الدّيار المصريّة لفترة معيّنة، حيث تشير المصادر أن تواجده بمصر كان سنة 645 هـ/ 1248 م، وبالتالي نرجّح ولايته للقضاء كانت بعد وفاة ابن الشّاش وذلك في سنة 685 هـ، وبعدها قصد مدينة دمشق سنة 687 هـ/ 1288 م، وبها تسلّم منصب القضاء لمُدّة ثلاثين سنة، وهي مُدّة طويلة جداً مقارنة بالمناصب التي يتولّاها النواب وغيرهم، فجميع المؤرّخين الذين ترجموا له وصّفوه بالصّرامة والاستقامة والعدل، ويتجلّى ذلك من خلال قوّة حكمه التي تظهر خاصّة في إراقة دماء الملحدّين والزّنادقة والمخالفين⁶، ومن هؤلاء محمد ابن عبد الحكيم الجزري الملقّب

1 - ابن طولون، الغرر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام المعروف بقضاة دمشق، تج: صلاح المنجد، مطبعة الترقّي، دمشق، 1956 م، ص 268.

2 - ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، المصدر السابق، ج 7، ص 553.

3 - ابن القاضي المكتاسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تج: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، 1972 م، ص 106.

4 - بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تج: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988 م، ج 2، ص 334.

5 - النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 5.

6 - المقرئ، المواظ، المصدر السابق، ج 4، ص 98.

بجمال الدين الباجري (ت 724هـ/ 1324م)¹، الذي اتهم بالكفر بشهادة الشيخ مجد الدين التونسي النحوي².

وقصارى القول أن جمال الدين الزواوي بلغ له شأن كبير في بلاد المشرق الإسلامي، وكان من أهم قضاة المالكية في كل من مصر وبلاد الشام، لما عرف عنه من صرامة وهيبة واستقامة ونزاهة في هذا المنصب.

كما ولي عيسى بن مسعود شرف الدين الزواوي (ت 743هـ/ 1342م)، قضاء دمشق سبع سنوات، ثم عاد إلى مصر حيث استقر بالقاهرة أين تقيم أسرته، واشتغل بمنصب قضاها³، ولعل نبوغه الفكري وتعمقه في الدراسات الفقهية خاصة براعته في حفظه للمذهب المالكي وفهم مسائله أهله بأن يكون مفتيا ونائبا للقاضي تقي الدين الأخنائي (ت 750هـ/ 1349م)⁴. وكان فخر الدين أبو عبد الله محمد بن مسعود بن سليمان الزواوي المغربي المالكي (ت 757هـ)، قاضيا ثبتا اشتهر بعلمه ونزاهته حتى قيل عنه " اشتهر

بالتصميم في الأحكام والصيانة والنزاهة"⁵. ومن الأسر العلمية التي نشأت بمصر وتوارثت منصب قضاء المالكية بالإسكندرية أسرة ابن عطاء الله السكندري المعروفة أيضا بأسرة التنسي⁶؛ وأبرزهم القاضي كمال الدين التنسي (ت 777هـ/ 1375م)، الذي استقر في قضاء الإسكندرية سنة 771هـ مكان القاضي كمال الدين الريغي⁷، وابنه محمد

1 - النعيمي، المصدر السابق، ج 1، ص 184.

2 - النعيمي، المصدر نفسه، ج 10، ص 10.

3 - أحمد بن محمد ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسعى درة الحجال في أسماء الرجال، تج: محمد أحمد أبو النور، طبعة القاهرة وتونس، 1971م، ج 3، ص 187.

4 - هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الأخنائي، كان شافعيًا ثم رجع مالكيًا، ولي الحسبة ونظر الخزانة والقضاء (سنة 763هـ / 1365 م)، ففرع بعده، لا يقبل وسيلة ولا شفاعة لأحد (ت 777هـ / 1377 م). راجع: التنيكي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تج أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002م، ط 1، ص 60.

5 - السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تج: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م، ط 1، ج 1، ص 90.

6 - ينتسب كمال الدين وأخوه ناصر الدين إلى جدهما لأمهما ابن التنسي، نسبة إلى تنس من أعمال تلمسان، وعليه فان بعض أعلام أسرة ابن عطاء الله من أصول جزائرية. السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج 11، ص 239.

7 - المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ- 1997م، ط 1، ج 4، ص 361. راجع أيضا: زين الدين عبد الباسط بن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، تج: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، 1422هـ- 2002م، ط 1، ج 2، ص 56.

التنسي(ت819هـ/1420م)، وناصر الدين أحمد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله (ت801هـ/1401م) الذي اشتغل بمنصب قضاء المالكية بالإسكندرية سنة 780هـ، وعُزل منه سنة788هـ.

أما النَّازِلين بالإسكندرية فنجد القاضي سالم بن عبد الله بن سعادة بن طاجين القسنطيني (ت820هـ/1417م)، الذي تولَّى قضاها¹.

وظل القضاء يحافظ على مكانته وهيبته حتى منتصف القرن الثامن الهجري، الرَّابِع عشر الميلادي، خاصة في عهد المماليك البرجية (784-923هـ/1341-11517م)، نجد أن السَّلاطين تهاونوا كثيرا في اختيار القضاة²، حيث أصبحت مسألة اختيارهم تتم عن طريق الرِّشوة والبراطيل³، وانتشرت هذه الظَّاهرة بشكل واسع خاصَّة في زمن السُّلطان الصَّالح عماد الدِّين إسماعيل بن النَّاصر محمد قلاوون (743-746هـ/1342-1345م)، إذ عرف في عهده أوَّل ديوان للبراطيل وصار من له حاجة يأتي صاحب الديوان المذكور ويَبْذِل فيما يرومه من الوظائف⁴.

وعن طريق فتح هذا المجال لبلوغ منصب القضاء استطاع ذلك أن يؤثر على استقلال القضاء وعلى مكانة القاضي الذي فقد شخصيَّته وهيبته إلى أبعد الحدود، فنجد هناك منهم من لم تتوفر فيه الشروط الواجب توفُّرها في القاضي النَّزيه العادل، حيث كان يتم تعيَّينهم انطلاقا من تقَرُّبهم من الحُكَّام واستمالتهم بالرشاوي الماليَّة، مثل عمر بن سعيد بن يحي التِّلمسانيّ أبو جعفر المالكي (ت856هـ/1457م))، الذي كان يعمل أميِّنا بطاحون أشنان في دمشق ثم اتَّصل بخدمة الطَّنْبغا المارداني (ت744هـ/1343م) نائب الشَّام⁵، ثم أصبح سنة 858هـ قاضي المالكية في حلب بعد سعيه الشَّديد لدى السُّلطان من أجل الحصول على

1 - ابن حجر، إنباء الغمر، المصدر السابق، ج3، ص184.

2 - ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: حامد عبد المجيد، القاهرة، 1957م، ج2، ص35.

3 - المقرئزي، المواعظ، المصدر السابق، ج1، ص318.

4 - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (د ت)، ج11، ص292.

5 - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص167.

منصب القضاء، وما يذكر عن هذا القاضي كان جاهل بالأمر الشرعي¹ وغير مؤهل للمنصب وما دفعه لذلك هو طمعه بالمنصب وبالمال.

ويعتبر شهاب الدين التلمساني أحمد بن سعيد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم التلمساني المغربي المالكي (ت 874 هـ/ 1475 م) مثالا آخر عن القاضي المرتشي، والذي أعطى انطبعا سببًا لقضاة ذلك العصر من خلال دفعه للرشوة مقابل حصوله على منصب القضاء، فأصبح بذلك قاضي قضاة المالكية بدمشق سنة 845 هـ، بعد أن عزل زين الدين سالم الزواوي، فدامت مدة حكمه سنة ثم عزل سنة 846 هـ، وقد أدرك الناس لما في هذا القاضي من الحماسة وجهل بالأمر الشرعي فأرسل حافيا إلى مدينة الإسكندرية². لكن في سنة 852 هـ أُعيد إلى منصبه كقاضي واستمر بعمله إلى أن عُزل وسبب ذلك ما وقع بينه وبين حاجب دمشق من خلاف حيث أن شهاب الدين التلمساني طلب غريماً عند الحاجب فامتنع من إرساله إليه، وهذا ما جعل القاضي يستدعي الحاجب لاهانتته وتوبيخه، فتعصب الأمراء لذلك الإجراء وكتبوا إلى السلطان الظاهر جفمق (842-857 هـ/ 1438-1453 م) بمصر بتفاصيل الأحداث، فقرر هذا الأخير أن يصدر مرسوما يقضي فيه " بأن القضاة لا يطلبون أحدا من عند حكام السياسة ولا يحكمون فيمن سبقت دعواه إليهم، وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحدا من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه، ونودي ذلك بدمشق".³

هذه الحادثة تؤكد تدخل السلاطين في عمل القضاء فيما إذا تعارضت أحكامه مع مصالح ورغبات الحكام بل وحتى من أجل الأمراء والحجّاب، ثم إن القضاة رغم قبول بعضهم بالرشوة، إلا أنهم كانوا حريصين على تطبيق الأحكام ولو على مقربي السلاطين، غير أن هذا القاضي امتدت إليه الرشوة فعندما أُعيد إلى منصبه سنة 860 هـ بذل له مبلغ خمسمائة دينار من أجل العودة إليه، وتكرّر حال القاضي بالعزل والرجوع إلى منصبه، ففي سنة 861 هـ أُعيد إلى منصبه عوضاً عن زين الدين السويدي (ت 862 هـ/ 1462 م)، وقام بلبس تشريف القضاء، لكنه في سنة 869 هـ عاد للقضاء بطريقة الرشوة إذ بذل لذلك خمسمائة دينار أيضاً⁴.

1 - ابن حجر، المصدر نفسه، ج 3، ص 167.

2 - ابن طولون، الفهر البسام، المصدر السابق، ص 279.

3 - ابن طولون، المصدر نفسه، ص 281.

4 - النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 22.

ويبدو أن السَّبب الذي دفع الفقهاء إلى التهالك على منصب القضاء، هو قلة الوازع الديني، بالإضافة إلى طَمَعِهِم في الحُصُول على المال والثروة، لأن القاضي كان يجني أموالاً طائلة من خلال هذا المنصب التي يصل أكثرها إلى خمسين ديناراً شهرياً إضافة إلى أوقاف المدارس¹. إلى جانب ذلك روح الحَسَد والطَّمَع التي كانت بين الفقهاء وقضاة ذلك العهد، فكان الواحد منهم على استعداد أن يبذل كل ما يقدر عليه في سبيل عزل القاضي الموالي، لينتقم منه أو ليُعَوِّض مكانه، فهذا القاضي ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) كتب ورقة تحطُّ من قدر السُّلطان الظاهر بَرَفُوق (784-801هـ/1382-1399م) ونسبها إلى القاضي شَمْس الدِّين الركزاكي (ت 792هـ/1390م) لينتقم منه، ولكن لما تبيَّن للسُّلطان حقيقة هذا الأمر، قام بعزل ابن خلدون عن القضاء².

ومن الجدير بالذكر، أنه رغم وجود كثير من القضاة أنزلتهم الحاجة أو الطمع من عِزَّة العلم إلى الدَّل، لكن مع ذلك كان فيهم من أَعَزُّوا القضاء ورفعوا قدره، وأثبتوا صرامتهم بعدم خضوعهم لسُلطان أو غيره، ومن هؤلاء قاضي قضاة المالكيَّة ببيت المقدس، شرف الدين أبي الرُّوح عيسى بن شَمْس الدِّين محمد الزواوي (ت 854هـ/1450م)، الذي سعى خلال فترة حكمه أن يحافظ على استقلالية القضاء، فتذكر المصادر حادثة وقعت له مع نائب بيت المقدس مُبارك شَاه، الذي قبض على مجموعة من الفلاحين اتَّهمهم باللُّصوَصِيَّة، وأراد قتلهم دون محاكمتهم، فوقف القاضي شَمْس الدِّين الزواوي في وجهه وأوقفه من تنفيذ الحكم وأغلظ له في القول قائلاً: "والله لو قتلتم بحضوري لكنت أقتلك بيدي وأعلقك إلى جانبهم كما أنت بخلعة السُّلطان، فلم يقدر النائب على مراجعته لهيبته، ودخل إلى المدينة ولم يستطع قتلهم"³. فنلمس من خلال موقفه هذا تفاعله وانتصاره للضعفاء من أبناء مصر والشَّام من خلال حرصه على تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة.

1 - العمري شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: دوروتيا كرافولكسي، الناشر المركز

الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م، ط1، ص218.

2 - العسقلاني، رفع الإصر، المصدر السابق، ج2، ص345.

3 - العليبي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، 1999م، ج2، ص248.

كما تولى الشيخ علي بن محمد التَّنسي (ت 875هـ/1470م)، منصب قضاء المالكية بالشَّام، ونظرا لعدله وسيرته الحسنة بين النَّاس تألَّوا على فقدته من الدِّيار المصريَّة¹.

كذلك القاضي سالم بن إبراهيم بن عيسى الصَّنْهَاجي المغربي الملقَّب بأمين الدِّين المالكي (ت 873هـ/1474م)، وهو الآخر يعتبر مثال للقاضي العادل الذي تمسك بالحق وسعى لتطبيق العدالة وبرهن على قوة المذهب المالكي ومدى صلاحيته في أحكام الناس رغم كل المَعَوِّقات. كان عالماً حافظاً سمع بالحجاز ومصر ودمشق وغيرها، أصبح قاضي قضاة المالكية بدمشق سنة 842هـ، ثم وليَّ قضاء القدس ثم عاد إلى بلاد الشَّام، وسار في ذلك سيرة حسنة بنزاهة وصرامة، وبقي كذلك إلى أن تُوفِّيَ بالمدرسة الشَّراييشية² وصُلِّيَ عليه بالجامع³.

ومما يدلُّ على أنَّ القضاة كانوا يسعون لمنصب القضاء من خلال الرِّشوة ويتعاملون بها حتى في الحكم بين المتخاصمين، ما قاله السُّلطان العُثماني سليم الأوَّل (918-926هـ/1512م-1520) لقضاة دمشق بعد أسْرِهِم إثر انهزام المماليك في معركة مُرْج دابق سنة 922هـ/1516م "أنتم تأخذون الرِّشوة على الأحكام الشرعيَّة، وتسعون بالمال لتتولوا القضاء، لماذا لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالنَّاس"⁴.

وتُجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من القضاة ولا سيَّما في عصر المماليك البرجية لم يمكنوا طويلا في منصب القضاء فكانوا يعزلون بعد أشهر وربما بعد أيام من توليتهم ويرجع السبب في ذلك كما أسلفنا إلى كثرة الفساد بشكل واسع، كان منهم الشَّيخ شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله الطُّولقي (ت 928هـ/1514م)، كان عالماً بالفقه المالكي، وفي سنة 897هـ/1492م، اشتغل بمنصب قضاء المالكية، واستمر فيه إلى سنة 899هـ/1494م، حيث عزل ثم أُعيد إلى منصبه سنة 900هـ/1495م⁵، ثم استقر به المقام بالإسكندرية وتولَّى قضائها⁶.

1 - التنيكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 337.

2 - مدرسة للمالكية، نسبة لواقفها نور الدولة علي بن أبي المجد الشراييشي، تقع بدرب الشعارين داخل باب الجابية بدمشق.

النعيبي، المصدر السابق، ج 2، ص 06.

3 - ابن طولون، الثغر البسام، المصدر السابق، ص 282.

4 - محمد بن أحمد ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م،

ط 2، ج 5، ص 57.

5 - ابن العماد، المصدر السابق، ج 10، ص 223.

6 - السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج 8، ص 146.

الإفتاء: في عصر الدولة الأيوبية (567-648هـ/ 1174-1250م) تزايد عدد المدارس واتسع دورها لتكون مجلسا للقضاء والإفتاء، فكان العلماء يجلسون لإفتاء الناس في هذه المدارس بصورة تطوعية.

وفي العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)، وتحديدًا منذ منتصف القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي، شهدت مصر لأول مرة في تاريخها تحول وظيفة الإفتاء إلى وظيفة رسمية، يتقاضى صاحبها مرتبا عليه، وذلك تحت اسم مفتي دار العدل، وبذلك يمكن أن نعتبرها آخر وظيفة من الوظائف القضائية التي ظهرت في تلك الفترة. ومن بين علماء المغرب الأوسط الذين تولوا منصب الإفتاء الفقيه جمال الدين الزواوي (ت 717هـ/ 1317م)، حيث تشير المصادر أن تاريخ تواجده في مصر كان سنة 645هـ/ 1248م، واشتغل فيها وحكم بالشرقية، وإلى جانب عمله كقاضي كان يضطلع بمهام أخرى كتولي الإفتاء في الحكم¹.

كذلك عيسى بن مسعود شرف الدين الزواوي (ت 743هـ/ 1342م)، وعبر عن ذلك ابن قزحون (ت 799هـ/ 1301م)، بقوله: "كان إماما في الفقه، إليه انتهت رئاسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية معا"²، كما قام بتسجيل فتواه حول كتاب "الفصوص" للصوفي محي الدين بن عربي (ت 638هـ/ 1241م) بأنه كله تلبيس وتحريف، ووصف كل من صدق بذلك أو اعتقد صحته كان كافرا مخالفا لسنة رسول الله³.

ويظهر نشاطه في هذا الميدان من خلال عقده لمجالس الفتوى على المذهب المالكي بمصر والشام خلال العصر المملوكي، ويتم فيها تدريس الفقه وإجابة السائلين أو طالبي الفتوى⁴. وممن برز في هذا المجال محمد بن مسعود بن سليمان بن سומר الزواوي فخر الدين

1 - عادل نويس، المرجع السابق، ص 165. راجع أيضا: أحمد بن معمر، المغاربة ومنصب القضاة المالكي في دمشق المملوكية، دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص 151.

2 - ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تج: محمد الأحمرى عبد النور، ج 2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ص 72.

3 - البقاعي برهان الدين، مصرع التصوف أو تنبيه الغي في تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد، تج: عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، 1953م، ط 1، ص 157-158.

4 - فوزي رضائي، المرجع السابق، ص 227.

المالكي(ت717هـ/1317م) فضلا عن اشتغاله في الحكم لمدة ثلاثين سنة فقد كان له دور بارز في توليه منصب الإفتاء، وعرف عنه صرامته ونزاهته في إصداره للأحكام¹.

ناظر الوقف: تؤكد المصادر المختصة أن نظام الوقف تطوّر مع توسّع الدولة العربيّة الإسلاميّة، فقد اهتمّ السلاطين خاصّة المماليك والأعيان بوقف أموالهم على المدارس ودور العلم والعبادة والأيتام والبيمارستانات بل شمل أيضا الجوانب العسكريّة وفكّ الأسرى وغيرها، فكان ضروري تشكيل ديوان خاص للوقف يُنظّم عمله وأبواب صرفه وبالتالي ظهور وظائف ومهن جديدة ارتبطت بهذا النظام من بينها ناظر الوقف الذي يندرج ضمن ديوان الأوقاف الخيرية أو الحكمية، والذي يتولى الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين، وعلى صدقات الفقراء والأسرى²، وقد عبّر القلقشندي عن مسؤولية ناظر الوقف بقوله: "... فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة وينظر في الأوقاف وعلى اختلافها من ربوع ومباني ومساكن وحوانيت وساحات مأجورة وغير مأجورة وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها ويتدرج على هذه الأوقاف، المساجد مواطن الذكر فليقم شعارها وليحفظ آثارها وليرفع منارها"³. غير أنه يمكننا القول أن الذين اشتغلوا في هذا المضمار يكون شبه منعدم، إلا أن هناك إشارة أوردها ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة، أن شمس الدين ابن علي الزواوي توفي في القرن 9هـ/15م، كان قد اشتغل بمنصب ناظر أوقاف المالكيّة بمصر⁴.

الخاتمة: من خلال المعطيات التاريخية الواردة في هذه الورقة البحثية، والتي تضمنت استعراض نماذج من علماء الدين من المغرب الأوسط النازلين بمصر وبلاد الشام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مع تتبع جهودهم في حفظ العلوم الدينيّة والاشتغال بها نقف على أن هناك توافقا بين ما قدمه هؤلاء العلماء وإخوانهم أهل مصر وبلاد الشام في المجال الديني، وهذا ما يتضح في الكتب المختصة.

1 - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 6، ص 6.

2 - محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648-923هـ) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م، ص 374.

3 - القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 11، ص 253-254.

4 - ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 3، ص 55.

وأثبتت هذه الدراسة أيضا أن هذه الفئة العلمية قد بلغت شأنا عظيمًا وأهمية كبيرة داخل المحيط الوظيفي، فكان تأثيرهم واضحا خاصة في المناصب الدينية التي تقلدوها والتي كانت تمثل تقييم للمستوى العلمي والفكري الذي وصل إليه هؤلاء العلماء والذي تجلى هذا التأثير على الحياة العامة بمصر وبلاد الشام، فسياسيًا عمل منهم في القضاء بمستوياته المختلفة وفق المذهب المالكي رغم انتقالهم لمصر وبلاد الشام التي شهدت تعصبا للمذهب الشافعي خاصة في مصر في ظل التعصب المذهبي السائد بالمشرق خلال فترة الدراسة، أما اجتماعيًا فيظهر تأثيرهم بشكل واضح من خلال عملهم في الخطابة والإمامة وتجلى دورهم الوظيفي أيضًا في الحد من انتشار بعض مظاهر الفساد الاجتماعي كالرشوة وغيرها من المعتقدات الباطلة، ولم يكن بالأمر الهين فقد واجهتهم العديد من المشاكل بسبب تصديهم لهذه المظاهر.

وهذا يبين لنا أن كثير من علماء المغرب الأوسط النازلين بمصر وبلاد الشام خلال حقبة الدراسة الذين اهتموا بالعلوم الدينية قد تعددت مجالاتهم ولم يهتموا أو يتقيدوا بنمط معين من العلوم فنجد منهم من كان مفسرًا ومقرئًا ومحدثًا ومُدَرِّسًا وقاضيًا في آن واحد، وعلى هذا الأساس ارتأينا تصنيفهم حسب الوظائف والمواقع التي شغلوها بالديار المصرية والشامية.

اهتم علماء المغرب الأوسط بالوظائف الدينية خلال حقب تاريخية مختلفة وألّفوا في العديد من المواضيع التاريخية، غير أنّ الكثير من تراثنا المحفوظ في المصنّفات لم يصل إلينا وهناك من بقي مخطوطًا في المكتبات، وعلى ذلك يجب التنبيه إلى ضرورة الاهتمام والمحافظة على تراثنا المخطوط، وأن يكون محل عناية توليها المؤسسات التوثيقية الوطنية والعمل على تأسيس مخابر لترميم والتصوير والاستنساخ، وورشات للصيانة والتجليد، وهذا يعد دعم تقني يساهم في حماية التراث المكتوب، وخاصة منه القديم.

ويجب علينا أن نعي التراث وعيًا موضوعيًا علميًا، ونتمكّن من قراءة التراث قراءة صحيحة تكشف عن حقيقة تكوين العقلية العربية الإسلامية.

كما يوصي البحث بضرورة اهتمام الباحثين سواء في الدول المشرقية أو الجزائرية بدراسة ما أنتجه أعلام المغرب الأوسط من خلال التعريف بهم ورصد دورهم، والعمل على تحقيق آثارهم المخطوطة ودراستها، حتى لا يكون إنتاج هؤلاء الأعلام محل النسيان والتجاهل.

وفي الأخير نتقدم باقتراح للسيد رئيس التحرير لهذه المجلة أن يقوم بتثبيت عنوان لعدد خاص يحمل عنوان "وقفات على أثر وجهود علماء المغرب الأوسط داخل المحيط الوظيفي ببلاد المشرق خلال العصر الوسيط".

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الجزري محمد أبو الخير (ت833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره: برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، ط1.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2016م، ط1.
- 3- ابن خليل بن شاهين زين الدين عبد الباسط الملطي (ت920هـ/1514م)، نيل الأمل في ذيل الدول، تج: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1422هـ-2002م، ط1.
- 4- ابن خلكان شمس الدين أبي العباس (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971م، ط1.
- 5- ابن طولون شمس الدين محمد بن علي (ت953هـ/1546م)، الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام المعروف بقضاة دمشق، تج: صلاح المنجد، مطبعة التراثي، دمشق، 1956م.
- 6- ابن عماد الحنبلي (ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تج: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م، ط1.
- 7- ابن فرحون برهان الدين العيمري (ت799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تج: محمد الأحمرى عبد النور، ج2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- 8- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت749هـ/1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تج: دوروتيا كرافولكسي، الناشر المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م، ط1.
- 9- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، تج: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1418هـ/1997م، 1424هـ/2003م، ط1.
- 10- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبرفونتان الشرقية، الجزائر، 1906م.
- 11- بدر الدين العيني (ت855هـ/1452م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تج: محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.
- 12- البقاعي برهان الدين (ت885هـ/1480م)، مصرع التصوف أو تنبيه الغي في تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد، تج: عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، 1953م، ط1.
- 13- ابن القاضي المكتاسي أحمد بن محمد (ت960هـ/1616م)، ذيل وفيات الأعيان المسعى درة الحجال في أسماء الرجال، تج: محمد أحمد أبو النور، طبعة القاهرة وتونس، 1971م.
- 14- تقي الدين المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ط1.
- 15- تقي الدين محمد المكي (ت832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تج: فؤاد السيد، القاهرة، 1381هـ/1962م.
- 16- التنبكي أحمد بابا الصنهاجي (ت1036هـ/1627م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تج: أبويحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002م، ط1.

- 17- التنيكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، طرابلس، 2000م، ط2.
- 18- الجواليقي أبو منصور (ت540هـ/1144م)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، 1990م، ط1.
- 19- الجويني عبد الملك بن عبد الله الملقب بإمام الحرمين (ت478هـ/1085م)، غياث الأمم في التياث الظلم، تح: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، 1401هـ، ط2.
- 20- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت1068هـ/1657م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصوير: مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م.
- 21- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت748هـ/1348م)، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- 22- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1385، 1466هـ/1965، 2001م.
- 23- السخاوي شمس الدين (ت902هـ/1497م)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م، ط1.
- 24- ابن القاضي المكتاسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
- 25- السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- 26- السيوطي جلال الدين (ت911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.
- 27- الشَّغْرَانِي أبو محمد عبد الوهاب (ت973هـ/1565م)، الطبقات الكبرى، مكتبة محمد المليجي الكتي وأخيه، مصر، 1315هـ.
- 28- الشوكاني محمد بدر الدين (ت1255هـ/1839م)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1414هـ، ط1.
- 29- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
- 30- العليبي عبد الرحمن بن محمد أبو اليمن (ت928هـ/1522م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، 1999م.
- 31- عماد الدين الأصبهاني أبو عبد الله (ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: اذرتاش اذرنوش، نقحه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الدار التونسية، 1971م.
- 32- القاضي شهاب تقي الدين أبو بكر (ت851هـ/1447م)، تاريخ ابن القاضي شهاب، تح: عدنان دروس، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1994م.
- 33- القلقشندي أبو العباس شهاب الدين (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.
- 34- الماوردي أبو الحسن علي (ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
- 35- المقرئ تقي الدين (ت845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1997م، ط1.

- 36- ابن إياس زين العابدين محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م، ط2.
- 37- النعيمي عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ/1521م)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1410هـ- 1990م، ط1.
- 38- ابن تغري بردي (ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، د. ت.
- 39- ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: حامد عبد المجيد، القاهرة، 1957م.
- 40- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تع: السيد خورشيد علي، عني بتنقيحه: محمد حبيب الله القادري الرشيد، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، 1396هـ- 1976م، ط2.
- 41- ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1389هـ، 1969م.
- 42- ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.
- 43- أحمد بن معمر، المغاربة ومنصب القضاة المالكي في دمشق المملوكية، دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008.
- 44- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، 2002م، ط15.
- 45- رفاعة رافع الطهطاوي (ت1290هـ/1873م)، منهاج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية، مؤسسة هنداوي س ياي سي، 2018م.
- 46- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 15/14 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، القسم الثاني، جامعة الجزائر، 1429هـ، 1430هـ/2009، 2008م.
- 47- عادل نوميض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نوميض للثقافة، (د. ت).
- 48- علي أحمد، الأندلسيين والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م، ط1.
- 49- عماد نيق، الزهراء نيق، دور المؤسسة الدينية كأداة ضبط اجتماعي، "مجلة التمكين الاجتماعي"، مج2، ع 4، ديسمبر 2020م.
- 50- عمر عبد الرحمن الساريسي، نصوص من الأدب الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، دار المنار، 1985م.
- 51- فوزي رمضاني، الإشعاع الفكري والتربوي لعلماء المغرب الأوسط في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، "مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية"، مج6، 2022م.
- 52- محمد ابن أحمد كنعان، وفيات الأعيان والمشاهير (خلاصة تاريخ ابن كثير)، مؤسسة المعارف، بيروت، 1998م، ط1.
- 51- محمد أبو زهرة، الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهي عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، 1353هـ/1934م، ط1.
- 52- محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648هـ-923هـ) دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م.